فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله

يـــقـــدم

من سلسلة "قصة رواها الرسول"

الدائن الذي يتجاوز عن المعسر

لفضيلة الشيخ : جمال المراكبي

رابط المـادة : http://www.way2allah.com/khotab-item-30397.htm

إن الحمد لله، أحمدك ربي حمدًا طيبًا طاهرًا مباركًا فيه ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد وكلنا لله عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد، يا من ألوذ به فيما أؤمله، ومن أعوذ به مما أحاذره، لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره، ولا يَهِيضُونَ عظمًا أنت جابره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على طريقته وانتهج نهجه إلى يوم الن وعلى رسل الله أجمعين، "رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ" الأعراف:٢٣

اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم.

مَطْلُ الغَنِي ظُلْم

المُعسر مَدينٌ، عليه ديون ولا يستطيع سدادها، لا يجد من المال ما يسد به دَيْنَه، ونحن في زمننا هذا نسمع بقضايا الشيكات بدون رصيد، وقضايا إيصالات الأمانة، الشيكات على بياض، إدخال المُعسِرين إلى السجون بحقٍّ وبغير حقٍّ، نعم..

النبي صلى الله عليه وسلم قال لنا: "مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ" صحيح البخاري.

"مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ"، إذا كان المَدِينُ غنيًّا ويجد السداد ولا يسدد فهو مماطلٌ، والمماطل في هذه الحالة ظالم، وإذا كان ظالمًا في هذه الحالة؛ فيُشرَع لك أن تحصلَ على حقِّك بكل طريق، ومنها اللجوء إلى القضاء، لكن لا تكذب، لا تُزوِّر، لا تُزَيِّف، لا تكتب غير القيمة التي هي عليك.

كل هذا يحضُرُني وأنا أسترجع هذه القصة التي رواها البخاري وغيره، من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا؛ فَتَجَاوَزْ عَنْهُ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، قَالَ: فَلَقِيَ اللهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ" صحيح البخاري.

القرآن الكريم يحثنا على إنظار المعسر

في آخر آية نزلت من القرآن الكريم: "وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ" البقرة: ٢٨١

قبل هذه الآية، يحدثنا الله عن المدين الذي لا يجد وفاءً، الذي لا يجد سدادًا، ويخاطب الدائن، يخاطب الدائنين: "وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ" البقرة: ٢٨٠

ما أعظم هذا الدين! ما أعظم هذا الشرع! دين يحرِّم الربا، شريعة تحرم الفائدة على الديون قَلَّت أم كثُرَت، شريعة تحُثُّ على إقراض المحتاجين كما تحثُّ على التَّصَدُّقِ على المحتاجين.

كما أن الفقير يأخذ من مال الزكاة، ويأخذ من مال الصدقة، فهناك محتاج لا يحتاج إلى زكاتك، لا يحتاج إلى صدقتك لكنه يحتاج منك قرضًا حسنًا، وأنا حينما أقول هذا الكلام أتعجب، أتعجب وأقول أين الأمانات؟! أين حديث الأمانة ؟! أين الأمانات النادرة في الأمم قبلنا ؟! أين هذا في هذه الأمة في آخر الزمان؟! في آخر الزمان تضيع الحقوق، في آخر الزمان لا يثق الناس في رزق الله، في آخر الزمان يسعى الناس للاكتساب من أي سبيل وإن كان حرامًا، نعوذ بالله من الخذلان.

النبي صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن رجل، ممن كان قبلنا لم يعمل خيرًا قط، يعني هو إلى النار، هو إلى النار، "تَلَقَّتِ المَلاَئِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَقَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: لاَ، قَالُوا: تَذَكَّرْ" فيُقال له يوم القيامة: ألم تعمل خيرًا؟، الله لا ينسى، الله لا يضيع عنده الخير أبدًا، ألم تعمل خيرًا؟

يقول: لا، "قَالَ: كُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ، فَآمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا المُعْسِرَ وَيَتَجاوَزُوا عَنِ المُوسِرِ" غير أنه كان لي عمال يعملون عندي – أجراء، محاسبين – فكنت أقول لهم إذا وجدتم مدينًا عاجزًا عن الوفاء والسداد لا تُرهِقوه، اصبروا عليه، أنْظِروه، أعطوه مهلة حتى يقدر على السداد، إذا وجدتم معسرًا فأنْظِرُوهُ وتجاوزوا عنه لعلَّ الله أن يتجاوز عنا، يا الله! "قَالَ: قَالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ" صحيح البخاري

وفي رواية أخرى: "قَالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ" صححه الألباني

كما كنت تتجاوز عن المدين المُعسِر فأنا أتجاوز عن ذنوبك وخطاياك، ادخلوا عبدي الجنة.

"وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ" وإن كان المدين متعسرًا "فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ" فأنظِروه إلى الوقت الذي ييسر الله له فيه فيسدد، "وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ " البقرة: ٢٨٠، قل له: كم عليك من المال؟ عليك ألفاً؟ أنا أسقطت عنك خمسمائة، وادفع الخمسمائة الباقية حينما ييسر الله لك، تكون أنت هنا تصدقت، هو مدين، هو لا يجد، حاله كحال الفقير الذي يحتاج إلى الصدقة، الذي يحتاج إلى الزكاة، أين أنت من إِنْظَارِه والصبر عليه والتجاوز عنه، بل والحَطِّ عنه؟.

رواية الدائن كعب بن مالك والمدين عبد الله بن أبي حدرد

عبد الله بن أبي حَدْرَدٍ وأبي بن كعب من الصحابة، الصحابة كانوا يتداينون أيضًا، فكان عبد الله بن أبي حدرد اقترض مالاً، والمال يطلق على أي شيء على كل ما يُتَمَوَّلُ، يعني اشترى منه شيئًا بالأجَل، اشترى شيئاً بالأجَل، وجاء وقت السداد فلم يستطع سدادًا، فجاء أبي بن كعب في المسجد وطلب منه المال "أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ دَيْنًا لَهُ عَلَيْهِ، فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فِي المَسْجِدِ" فقال: لا أستطيع أن أسدد الآن، فارتفعت الأصوات في المسجد، الدائن يرفع صوته والمدين يعني يطلب منه الرفق، يقوله يعني انتظر، أمهلني، ارفق بي، تجاوز عني، وهو يقول: واللهِ لا أفعل، واللهِ لا أفعل، واللهِ لا أفعل، "فارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وهُوَ فِي بَيْتِهِ، فخَرَجَ إِلَيْهِمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ حُجْرَتِهِ، ونَادَى كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، يَا كَعْبُ، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فأَشَارَ بِيَدِهِ أَنْ ضَعِ الشَّطْرَ مِنْ دَيْنِكَ" وأشار إشارة من أعلى إلى أسفل تعني النصف، يعني تقسم الدين نصفين، فتتصدق عليه بنصفه وتأخذ منه النصف الآخر؟

"قَالَ كَعْبٌ: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: قُمْ فاقْضِهِ" صحيح مسلم.

فقال لعبد الله بن أبي حدرد: هل تستطيع أن تُوَفِّيَه النصف؟ قال أفعل يا رسول الله.

وفي رواية "سَمِعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ صَوْتَ خُصُومٍ بالبَابِ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُمَا، وإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الآخَرَ ويَسْتَرْفِقُهُ في شَيْءٍ، وهُوَ يَقُول: واللهِ، لاَ أَفْعَلُ، فخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ عَلَيْهِمَا، فقَالَ: أَيْنَ المُتَأَلِّي عَلَى اللهِ لاَ يَفْعَلُ المَعْرُوفَ؟" من هذا الذي يحلف بالله ألا يفعل الخير؟ فاستحى، استحى وقال: "قَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ، فلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبُّ" صحيح مسلم.

فضل إنظار المعسر

الرسول صلى الله عليه وسلم كان يُصلح بين أصحابه في مثل هذه الخصومات، يدلهم على الخير، يدلهم على الرفق، وقد جاءت الأحاديث تترًا في بيان فضل إنظَارِ المُعسِر، الصحابي الجليل الذي كان له مال، دَيْنٌ عند آخر، فلما جاء يطلبه في بيته توارى المدين، المدين اختبأ، فسأل طفلاً صغيرًا عنه فقال الطفل: هو في المنزل غير أنه توارى منك، اختبأ منك.

فقال له: يا فلان اخرج كلمني أنا أعلم أنك في البيت، فخرج يعلوه الحياء، المدين الذي لا يستطيع أن يسدد، إن كان عنده دين يستحي من هذا الموقف، خرج يعلوه الحياء، يملأ الحياء وجهه، فقال: بالله عليك أخبرني ما الذي حملك على هذا أن تختبئ؟ فقال له: يا فلان إني أستحي أن تأتيني لتطلب مني وليس عندي ما أسدد فاختبأت منك.

فقال: تقسم بالله أنه ما عندك ما تسدد؟، قال: واللهِ ما عندي ما أسدد، فبكى، بكى الدائن، فقال له: ما يبكيك؟ قال: تذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إنظار المعسر، وكأنه تذكر هذه القصة وتلا قول الله تعالى: "وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ " البقرة: ٢٨٠

حتى لقد جاءت الروايات في أن الإسقاط عن المعسر كالصدقة أو إنظار المعسر، فالإسقاط صدقة، إنظاره يومًا أو يومًا أو يومًا كالصدقة.

بل جاء في مسند الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فلَهُ بكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِهِ صَدَقَةٌ، قَالَ: ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا لَهُ بكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ" فسَأَلَ النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك "قُلْتُ سَمِعْتُكَ يَا رَسُولَ اللهِ تَقُولُ مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فلَهُ بكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِهِ صَدَقَةٌ، ثُمَّ سَمِعْتُكَ تَقُولُ مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فلَهُ بكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ، قَالَ: لَهُ بكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ، قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ الدَّيْنُ، فإِذَا حَلَّ الدَّيْنُ فأَنْظَرَهُ، فلَهُ بكُلّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ"

يعني له ثواب الصدقة مضاعفًا، نتذكر قول الله تعالى: "وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ " البقرة: ٢٨٠

ونتذكر هذا الرجل فيمن كان قبلنا لم يعمل خيرًا قط إلا أنه كان يقول لعماله: إذا وجدتم معسرًا فأنظروه، فقال الله له: أنا أولى بهذا منك.

وأقول لك أيها التاجر، أيها المحامي: هل تَستحِلُّ أن تُدخِلَ مَدِينًا مُعسِرًا السجن ليُسجن؟ هل تستحل هذا؟ إذا كنت تعلم أنه مُعسِرٌ يجب عليك أن تعينَه، يجب عليك أن تَتصدَّق عليه، لا أن تُعرِّضَه لهذا البلاء ولهذه الفتن.

نسأل الله السلامة ونسأل الله العافية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس تفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36